حاول بعضهم ان يصنع فلماً بصرفيو مذهب ايشتين في النسبية ولا اعلم مبلغ نجاحه فيه واتقنت آلات التصوير افلاماً عظيماً والحق بعضها سكرسكوبات وتلسكوبات مصوّرة فاستطاع الذين يعنون بصنع الشرائط العلمية ان يصوّروا بلاوني حياة الاحياء المكرسكوبية وغرائبها وبالثانية المشاهد البعيدة من طيارة محلقة في الفضاء . وهناك آلات سناتوغرافية تصوّر ما يزيد على ٥٠٠ صورة في الثانية فاذا صوّر جسم متحرك بهذه السرعة وعرضت صوره بسرعة ٦ صورة في الثانية استطاع الذين يعنون بدرس حركته ان يحللوها تحليلاً دقيقاً. فاذا اضفنا الى ذلك الشرائط السناتوغرافية التي رسمت عليها صور بعض العمليات الجراحية الكبرى ومشاهد الرحلات التي تقوم بها بعثات علمية الى اقطار نائية عن معالم التمدن الحالي اتضح لنا ما للصور المتحركة من الفوائد الغزيرة في العلم والتعليم

هذا ولا يخفى ان للسنما فائدتين اخريين احداهما فنية وذلك ان طبع نسخ كثيرة من شريط واحد يسهّل عرض صورها على سكان القرى الصغيرة فيشاهدوا صور اشهر الممثلين والممثلات الذين لا يرضون عادة بالتنقل في قرية صغيرة لقلة الربح فيها . والثانية ان السنما كوسائل المخاطبات والمواصلات الحديثة والصحف والمجلات تربط الشعوب بعضها ببعض فتمهد بذلك السبيل الى السلم العام

روح الشرق في نهضة الغرب

اثر نصارى الشرق في التمدن الاسلامي . اثر هذا التمدن في نهضة الغرب

بقلم وليم كاتسفليس نقلاً عن السائح الممتاز

ان كثيرين من كتاب اللغة العربية في هذا العصر عندما يذكرون الدول الاسلامية كدول الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والامارات الاسلامية في الاندلس يعبرون عنها بقولهم « التمدن العربي » وهو تعبير فاسد تكذبهُ الحقيقة التاريخية . فلو قالوا الدول العربية لكانوا اقرب الى الصواب . ذلك لان العنصر الغالب والحاكم فيها كان عربياً . اما التمدن بمعنى ما انتجت تلك العصور من ثمار العلوم والفنون والصنائع فقد كان تمدناً اسلامياً وليس عربياً والفرق بين اللفظتين ظاهر لا يخفى على ذي بصيرة

نشأ الاسلام فأقام حكومة تيوقراطية اي ان اساسها الدين . على انهُ اوجد المساواة التامة بين جميع المسلمين وبحكم المكان والاحوال كان المسلمون الأوّل كلهم عرباً . ثم توسعوا

في فتوحاتهم وامتلكوا بلاداً كثيرة دخل اهلوها في حكمهم وبعضهم لا بل اكثرهم في دينهم فامتزجت الاجناس مع بناء العنصر السائد عربياً وانتشرت لغتهم بين الشعوب المسودة كما هي الحالة في كل عصر من العصور وبنوع اخص هذه المرة لان اللغة العربية هي لغة القرآن الذي هو قاعدة الدين والشرع

اما الشعوب غير العربية الاصل التي كانت في طليعة الامم التي سادها العرب فهي السورية والسريانية والكلدانية والفارسية . فضلاً عن انحاء العرب التي كانت خاضعة للروم وتلك التي كانت خاضعة للفرس

ليس يخفى ان هذه الشعوب ولاسيما نصارى سوريا والموصل والعراق كانت قد بلغت شأواً بعيداً من التمدن والرقي بسبب مركزها الجغرافي واحتكاكها بالروم ومعرفتها اللغات اليونانية واللاتينية بينما كان العرب قبل الاسلام في احط دركات الجهل . فالعرب كانوا يحسنون فن الكلام ويقرضون الشعر بالسليقة ولكنهم ما كانوا يعرفون شيئاً ولو يسيراً من العلوم والفنون والصناعات . على انهم بما فطروا عليه من الذكاء وبعد النظر ولشعورهم بتقصيرهم لم يضطهدوا العلوم والفنون في البلدان التي فتحوها بالسيف بل على الضد من ذلك شجعوها وساعدوا على ترقيتها للاستفادة منها وتقوية سلطانهم بها وهذا ما لم يفعله المغول والتتر والترك وغيرهم من الفاتحين الشرقيين في عصر من العصور

ليتصور القارىء حالة سوريا في نصف القرن الاخير حيث النصارى تعلموا في مدارس الفرنجة فنقلوا الى لغتهم العربية الشيء الكثير من علوم الغرب وفنونه فكانوا العامل الاول والاكبر في نهضة الشرق الحديثة وليقس بهذا المقياس ما كان من امر النصارى في صدر الاسلام وفي خلافتي الامويين والعباسيين ولاسيما هذه الاخيرة . وليذكر ان من هؤلاء النصارى السوريين والسريانيين والكلدانيين كثيرين ممن اسلموا في بداية الفتوحات فعربوا اسماءهم حتى اصبح من الصعب فرقها عن الاسماء العربية ما لم يتتبع الباحث تاريخ نشأتهم وتراجمهم . وهؤلاء مع ادباء الفرس وعلمائهم الذين دخلوا في الاسلام هم بناة ما نسميه اليوم بالتمدن الاسلامي . بل يمكننا القول — استناداً على الحقائق التاريخية الراهنة — ان مؤسسي هذا التمدن العظيم بما نقلوه الى العربية من علوم وفنون كانوا — الا النزر القليل — من غير العنصر العربي

ومن عجيب حكمة الله في خلقه ان اوربا النصرانية استفادت من جهاد نصاري الشرق وادبهم اكثر من الدول الاسلامية نفسها ذلك لان هذه الاخيرة قد اضمحلت واندثرت

او انها تقهقرت متراجعة نحو المجموعية بينما اوربا التي كانت قد انحطت وتأخرت بعد سقوط رومية وظلت اجيالاً راسفة في ظلمات الجهل لما حان وقت يقظتها ونهضتها استعانت بما وجدته من آثار التمدن الاسلامي الذي اصله منها وبعبارة ثانية إن المسلمين حافظوا على كنوز المعارف الغربية وزادوا عليها اثناء غيبوبة اوربا حتى اذا استفاقت وعاد اليها رشدها سلموها تلك الكنوز أو اكثرها فكانت اساس التمدن الحديث والرقي الحالي

قلنا ان المسلمين حينما فتحوا سورية وجدوا فيها تمدناً زاهراً وكان الكثير من الكتب اليونانية قد ترجم الى السريانية ومنها نقل الى العربية بعد الفتح عند ما عمت تلك اللغة على ان كتباً كثيرة عربت مباشرة عن اليونان ومعربوها من نصارى سوريا او من الذين كانوا نصارى واعتنقوا الاسلام(١)

على ان هذا العمل الجيد لم يبلغ درجة كبرى الاّ في ايام العباسيين وفي ملك المأمون الذي انشأ في بغداد « بيت الحكمة » فكانت اول جامعة من نوعها في العالم الاسلامي والوازع لنشر مؤلفات اليونان مترجمة الى اللغة العربية

في ذلك العصر ترجم الحجاج الحاسب كتاب بطليوس وسماهُ المجسطي وعرّب يوحنا ابن البطريق كتاب السياسة لارسطو. كذلك عرب عبد المسيح بن الناعمة الحمصي الاصل برفيريوس بطلب من الخليفة المعتصم. وقسطا ابن لوقا البعلبكي وابو زيد حنين ابن اسحاق كلاهما درسا اليونانية والطب والفلسفة ونقلا الى العربية كثيراً من تأليف اليونان ولحنين هذا فضلاً عن كتاب مطول في التاريخ كتاب « نوادر الفلاسفة » وهو مشهور. ومن الذين عربوا ارسطو ايضاً ابو بشر متى ابن يونس. اما عبيد الله بن جبريل من عائلة بختيشوع الشهيرة التي معناها (يسوع مخلص) فهو اشهر من ان يذكر وكتبهُ كثيرة

وابو الحسن علي بن سهل بن ربان من اصل اسرائيلي كان ابوهُ طبيباً في طبرستان وضع في الطب عدة كتب اشهرها كتاب « حفظ الصحة » وهو استاذ محمد بن ذكريا المعروف بالرازي صاحب كتاب « الحاوي »

وعيسى بن علي صاحب الكتب الثمينة في امراض العيون كان نصرانياً وقد ترجمت كتبهُ الى اللاتينية وطبعت في البندقية سنة ١٤٩٩

وصاحب كتاب « كامل الصناعة الطبية » فارسي الاصل كما يتضح ذلك من

(١) راجع مقالات اسماعيل مظهر بك في مقتطف فبراير ومارس ١٩٢٥ وفي هذا الجزء ايضاً وعنوانها « تطور الفكر العربي في التاريخ بالترجمة والنقل عن اليونان »

كنيته — علي بن العباس المجوسي — وقد اشتهر في قرطبة من الاطباء المؤلفين ابو القاسم بن عباس الزهراوي وفي بغداد ابو الفرج ابن الطيب الذي كان مدرساً في البيمارستان وكاتم اسرار البطريرك « انكاتوليكوس » الياس الاول . وتلميذهُ ابن بطلان اشتهر في بغداد كما اشتهر في مصر معاصرهُ ومناظرهُ ابن رضوان . ولابن بطلان هذا كتاب « تقويم الصحة » الذي نشر مترجماً في ستراسبورغ سنة ١٥٣٢ وكتاب « الامراض العارضة ». وفي السنة ذاتها ١٥٣٢ نشر في ستراسبورغ كتاب « تقويم الابدان » لصاحبه يحيى بن عيسى بن جزلة الذي كان نصرانياً ثم اسلم . ونبغ في قرطبة الطبيب الاسرائيلي موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر ثم انتقل الى مصر فصار فيما بعد طبيب صلاح الدين الايوبي ثم الملك العزيز

واشتغل القوم كثيراً بعلم الكيمياء فكان خالد بن يزيد الاموي يقرأها على الراهب ماريانوس . وكتب فيها جابر بن حيان سبعة وعشرين كتاباً ترجم اكثرها في فرنكفورت ونرمبورج بين ١٤٧٣ و ١٧١٠ ووضع ابن وحشية في الزراعة كتباً جليلة وكتاب عطارد بن محمد الحاسب في المعادن والفصوص مشهور عند العلماء لم يعادلهُ في اللغة العربية سوى كتاب « ازهار الافكار » في الموضوع عينهِ الذي جاء بعدهُ بسنين

اما الرئيس ابن سينا فشهرتهُ تغني عن ذكر مؤلفاتهِ

ومن المشهورين في علم الفلك ابو يوسف يعقوب القرشي ومحمد الفرغاني وابو معشر جعفر بن محمد البلخي ومحمد بن جعفر وابو الحسين عبد الرحمن الصوفي الفارسي المولد واولادهم شهرة نصير الدين الطوسي وهو من الفرس ايضاً صاحب كتاب « زبدة الادراك » والذي كان اول من فصل المثلثات عن الهندسة فجعل لها كتاباً خاصاً بها وقد قرأ علوم اليونان في ترجمات ثابت ابن قره وقسطا بن لوقا النصرانيين

ونبغ في الرياضيات في عصر المأمون ابو عبد الله الخوارزمي الذي وضع الكتب الكثيرة ولفظة « لوغارذم » عند الغربيين مشتقة من اسمهِ . وابناء موسى بن شاكر الثلاثة وهم محمد واحمد والحسن وابن الهيثم البصري . حتى ان عمر الخيام نفسه الشاعر الفارسي الذي خلد ذكره فيتزجرالد الانكليزي كتب في العربية فصلاً نبيلاً في علم الجبر(٢) . واشتهر ابو الحسن علي المراكشي صاحب كتاب « جامع المبادىء والغايات » الذي ترجم الى الافرنسية

(٢) راجع مقالة سيد مصطفى طباطبائي عن عمر الخيام في مكان آخر من هذا الجزء

وعرّب الكندي كتاب بطليموس في الجغرافيا وشرحهُ ثم حسنهُ موسى بن ثرة من بعده ووضع اليعقوبي كتاب « البلدان» وابو زيد البلخي كتاب—«صور البلدان» ومن الذين كتبوا في علم الجغرافيا ابو الفرج والهمذاني وابو عبد الله المقدسي والبيروني والبكري وقد اشتهر بنوع خاص ياقوت وهو يوناني المولد أُسر في غزوة وجيء به الى بغداد

اما في الفلسفة والتاريخ فكتب ادباء المتقدمين الاسلامي وعلمائه كثيرة لا تحصى واكثرها مشهور عند الادباء . بقي ان نذكر شيئاً يقدر ما يسمح لنا المقام عما ترجم الى اللغات الغربية واكثر الترجمات كانت الى اللغة اللاتينية التي كانت وتشتهر لغة العلم والعلماء

ما ترجم عن اللغة العربية

قسطنطين الافريقي الذي ولد في قرطاجنة اخذ الشيء الكثير عن الكتب العربية فضمنهُ تآليفهُ التي نشرت في لايد سنة ١٥١٥ واكثر ما اخذهُ عن « كامل الصناعة » لعلي بن العباس وعن احمد بن الجزار واسحق بن عمران وغيرهم . وسنة ١٠٨٠ ترجم سمعان الذي كان طبيباً في انطاكية كتاب كليلة ودمنة الذي طبع ونشر سنة ١٦٩٧

وكان في برشلونه رجل يهودي اسمهُ ابرهيم يكنّى بصاحب الشرطة يحسن العربية فتعاون مع رجل من العلماء اسمهُ افلاطون ونقلا عن العربية علوماً كثيرة اخصها عن حنين في البول وخصائصهِ وعن العمراني وابن الخياط ونشرت كتبهما في نورمبرج سنة ١٥٣٧ وسنة ١٦٤٥

وكان في طليطلة رجل اسرائيلي آخر اسمهُ يوحنا ترجمان عند رئيس الاساقفة حوالي سنة ١١٤٢ فترجم بواسطتهِ كتاب « سر الاسرار » في طب الاجسام ليحيى ابن البطريق الذي نشر سنة ١٥٤٨ وساعد ايضاً في ترجمة ابن سينا التي نشرت سنة ١٤٩٥ ثم اعيد نشرها سنة ١٥٠٨ وكتاب الفارابي الذي طبع في باريس سنة ١٦٣٨

ونشر مختصر الفرغاني في الفلك سنة ١٤٩٧ . و « مقاصد الفلاسفة » للغزالي سنة ١٥٠٦ في البندقية وكتاب في البحث او (التنجيم) لابن الخياط سنة ١٥٤٦ في نورمبرغ وفي سنة ١٤٩٢ طبع في البندقية كتاب « كامل الصناعة » لعلي بن العباس الذي كان ترجمهُ اسطفان (اوتيان) الانطاكي حوالي سنة ١١٢٧

ويظهر من مراسلات قديمة خطية محفوظة في مكتبة فرنسا ان رئيس دير كلوني للرهبان كان قد استخدم هرمان الدلماتي ورجلاً آخر انكليزيّ اسمهُ روبرت رتينانس لترجمة